الترادف والفروق الدلالية :

يقصد بالترادف استعمال لفظين أو أكثر بمعنى واحد ، ولكن هل الترادف موجود في القرآن الكريم ؟ إن القرآن الكريم يستعمل الألفاظ بشكل دقيق بحيث لا يمكن وضع لفظ مكان آخر أو إبداله به ، ولا يمكن أن يؤدي لفظ ما معنى لفظ آخر على وجه الدقة ، وسنوضح ذلك من خلال الأمثلة .

١. الفرق بين الحمد والمدح والشكر: (الكهف ١)

معنى الحمد : الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال، فالحمد أن تذكر محاسن غيرك سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل.وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح فقد تمدح جمادا ولكن لا تحمده .

وقد ثبت أن المدح أعم من الحمد. فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده؛ أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان.

ولم يقل سبحانه الشكر لله لأن الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاته الذاتية فانك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته وقد تحمده على ذلك . فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر في الآية الأولى من سورة الكهف : ((الحمد لله الذي أنزل على عبد الكتاب ولم يجعل له عوجًا))[الكهف ١].

٢. الفرق بين فرّ وهرب : (الكهف آية ١٨)

الفرار هو الانكشاف والظهور مع الخوف , ويكون في الحر دون العبد مع سرعة العدو (الركض) طلباً للمكان الآمن مهما بعد , كقوله تعالى: ((حمر مستنفرة فرت من قسورة))[المدثر ٥٠-٥١] ، وقوله تعالى: ((لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبًا)) [الكهف ١٨] .

أما الهرب فهو بمعنى الفرار ولكنه يكون سراً وفيه معنى الاستتار بعكس الفرار الذي يكون عن ظهور وانكشاف قال تعالى : ((وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا)) [سورة الجن ١٢].

٣. الفرق بين قصّ وتبع : (الكهف ٦٤)

يقول ابن فارس : ((القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم :اقتصصت الأثر إذا تتبعته)) . وقد ورد قص الأثر في موضعين من

القرآن الكريم هما قوله تعالى في موسى عليه السلام وفتاه : ((قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصًا)) [الكهف ٦٤], وقوله تعالى أيضاً على لسان أم موسى : ((وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون)) القصص ١١] . والتأمل في هاتين الآيتين يهدي إلى فروق بين (تبع) و(قص) من جهات ثلاث :

الأولى- إن (تبع) يستعمل في الأعراض والمعاني , ونجد هنا أن الطرفين في القص محسوسان (ماديان) , فالقاص في الآيتين بشر , والمقصوص أثر مرسوم يدل على ذات .

الثانية – إن المتبوع معلوم المكان أو المكانة , أما المقصوص فهو مجهول المكان أو المصير .

الثالثة – غاية التابع التزام المتبوع والتمسك بنهجه حقاً كان أم باطلاً .أما غاية القاص من المقصوص فالبحث عنه لأنه مجهول ثم نقل أخباره .

٤. الفرق بين رد ورجع : (الكهف ٣٦)

قوله تعالى : ((قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا)) [الكهف ٣٥-٣٦] , وقال تعالى في سورة فصلت (السجدة) : ((ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى...)) [فصلت ٥٠] .

للسائل أن يسأل عن قوله تعالى في الآية الأولى (رددت) وفي الآية الثانية (رجعت) وهل يجوز وضع أحد اللفظين مكان الآخر في الاختيار؟

والجواب أن يقال : إن لفظ (رد) يستعمل للكراهية .ففي آية سورة الكهف هناك وصف للجنتين اللتين حوتا مراده واشتملتا على ما أراده ، وتقديره فيهما أنهما يدومان له , وكان كارهاً أن تزول هاتان الجنتان عنه لأنه يحبهما فاستعمل لفظ (رددت) . أما في الآية الثانية فليس فيها كراهية أو وصف للجنتين أو ما شابه ذلك فاستعمل (رجعت) .

٥. الفرق بين إمرًا ونكرًا (الكهف ٧١ و٧٤)

قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لما خرق الخضر عليه السلام السفينة : ((...لقد جئت شيئًا إمرًا)) [الكهف ٧١] , ولما قتل الغلام قيل : ((لقد جئت شيئًا نكرًا)) [الكهف ٧٤] .

والجواب أن يقال : معنى الإمر هو الداهية أو العجب . ومعنى النكر : ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوزه . وهناك رأيان في الفرق بينهما :

الأول : النكر أعظم من الإمر , والنكر لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين لذلك استعمل في خرق السفينة لفظ الإمر لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك .

الثاني : الإمر أعظم من النكر لأن إغراق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة. وليس كذلك لأن الغرق لم يقع والقتل قد حصل .

٦. الفرق بين (أبوا ولم) (الكهف ٧٧)

قال تعالى : ((فأبوا أن يضيفوهما)) [الكهف ٧٧] يلحظ أن التعبير استعمل لفظ (أبوا) ولم يستعمل مثلاً (لم يضيفوهما) أو امتنعوا عن ضيافتهم , لأن التعبير بـ (أبوا) فيه إشارة إلى مزيد لؤم القوم لأنه كما قال الراغب الأصفهاني شدة الامتناع؛ ولهذا لم يقل : فلم يضيفوهما مع أنه أخصر فإنه دون ما في النظم الجليل في الدلالة على ذمهم .